



يوليه ١٩٢٨ سماع الحكمة يجذبنا إليك العدد ١١ مجلد ٢

حرية الفكر

١ - تعريفها - ٢ - حرية الفكر والسلطة الحكومية - ٣ - هل للسلطة التشريعية أن تتدخل في حرية الفكر؟ - ٤ - كيف يجب أن نفهم حرية الفكر؟ - ٥ - النتيجة

*
* *

— ١ —

ليس لنا أن نحدد حرية الفكر (١) بأكثر مما حددها به الاستاذ «الفرد وايم بن» - في كتابه «تاريخ حرية الفكر في إنجلترا خلال القرن التاسع عشر». فان التحديد الذي وضعه هذا المؤرخ لا يزال حتى اليوم العمدة عند المشتغلين بفلسفة العلوم الانسانية قال :

«إذا كان معنى الكلمات يستمد دائماً من جهة اشتقاقها ، فان اصطلاح «راشيونالزم» Rationalism يمكن أن يحدد بأنه الاسلوب أو المذهب الذي يتبعه أولئك الذين يعمدون دائماً الى العقل ليكون المنظم الأول لمعتقداتهم

(١) نقصد بحرية الفكر هنا ما يصرف عليه الانجائز كلمة Rationalism وأفضل تعريب هذا الاصطلاح «الاسلوب العقلي» وأصحابه «العقليون» أي الذين يحكمون العقل دون غيره من الصفات والمواهب الانسانية .

وأعمالهم . الذين يحملون أنفسهم على أن يفكروا بأسلوب ويشككوا بتعبيرات لها أكبر أصرة وأقرب علاقة بمحسوسات عرفت مفصلاتها ودقائقها . الذين لا يشبتون شيئاً مادام مخالفاً لما صح عندهم من الحقائق المقررة ، ولا يأنفون من قبول النتائج المنطقية التي تقتضيها الحقائق الثابتة ، مهما دأب في هذه النتائج من مكره ، ومهما كان فيها من بعد عما كانوا يعتقدون به من قبل . الذين يرغبون رغبة صادقة في أن لا يأتوا من فعل ، ما لم يكن له مبرر من غاية محددة يعونها ويطبقونها عن الاتيان بأي فعل تتصارع من حوله الغايات ، ويتكبرون أي عمل اذا عارضت وسائطه تلك الاغراض التي يجهدون أنفسهم في سبيل الوصول إليها »

ولا جرم أن حرية الفكر أو الأسلوب العقلي ان حدد هذا التحديد لم نجد في الناس من يحاول أن ينقض أساسه أو يقوض بنيانه . فان الجري على هذا الأسلوب لدى الواقع جرى على ما تقتضيه أنظمة العقل الانساني وكفائاته ، وتمجيده تمجيد للعقل البشري ، الذي هو في الحقيقة أرقى ما وصل اليه تطور الكون من المنظمات العضوية وغير العضوية .

واذا جرينا في تمديد حرية الفكر — أو الأسلوب العقلي — على ما وضعه الصلابة « بن » من تعريف ، استطعنا أن ندرك من أحرار الفكر أو العقليين أنهم تلك الفئة من المفكرين الذين غدوا في أنفسهم تلك الكفاءة العقلية بمقدار هو خير ما يفصل بين الانسان وبين السوائم . تلك الكفاءة التي ان فقدها شخص فقداناً جزئياً أستحق من بقية أفراد النوع البشري أن يرمى بالاحتقار ، وأن فقدها فقداناً كلياً أستحق أن يكون موضع الرحمة والشفقة .

ولقد ظهر العقليون — أو أصحاب الأسلوب العقلي — الذين جروا على الطريقة التي عرفها الاستاذ « بن » في كل عصر من عصور التاريخ منذ أن ترمى من الفكر الانساني أول شعاع حاول أن يشق للبشر في ظلمات العالم المجهول طريقاً .

ظهر هؤلاء في عصور التاريخ غير المكتوب ، كما ظهر في أفراد النوع البشري رواد ذلوا طريق الارتقاء ومهدوا سبيل النشوء في كل مامست اليه الحاجة من

مُرافق الحياة . غير أن أول رواد الطريقة العقلية هم لدى الواقع أمجد ما أخرج النوع البشرى من خلاصة الافراد . لانهم باتباعهم هذه الطريقة لم يستكشفوا أشياء مادية ينتفع بها النوع في حياته العامة أو الخاصة ؛ بل استكشفوا العقل الانسانى نفسه وعرفوا له مكانته في نظام الاشياء الانسانية . ولأن كون مبالغين مطلقاً اذا قلنا بأن هؤلاء هم الذين استكشفوا الانسان ، لأن تاريخ الانسان هو تاريخ العقل بمبتكراته الفذة ووثباته الكبيرة التى وثبها نحو العوالم المجهولة التى كانت تحيط به فى حياته الاولى .

ان رواد العقل البشرى فى كل عصور التاريخ هم أجدر أفراد النوع بأن يحوزوا ذلك المجد الكبير الذى ليست مدنية هذه الايام إلا أكبر مظهر من مظاهره . وهم فوق ذلك أول من رفع فى وجه التقاليد سيف العقل القاطع وسنانه المرهف اللامع . وهم الذين أضأوا بأنوارهم فى ظلمات الجهالة فبددوها ورفعوا صوتهم فى همود الاجتماع فحركوا منه ما أثرت عليه السنين والايام وهو ساكن لا يتحرك . هم الذين ذاقوا آلام الوحدة والانفراد برأى أو مذهب رأوا أنه الحق ، وهم الذين نزلت بهم مظالم الظالمين عتواً وكبراً ، وذاقوا من الموت والجوع والفقر ما نعهده اليوم أكبر كفارة أداها النوع البشرى عما آمن به من سخافات ، وما اعتقد به من أوهام ، على طول الاجيال والدهور .

وقد انقضت السنين وتناالت الاعوام ، بل كرت الدهور ومرت العصور ، ولا تزال الموقعة حامية الوطيس بين العقل وبين الوهم . على أن الدم الذى أراقه أول ظالم فى سبيل أن يخفت صوت العقل ، لا يزال الى اليوم يجرى فى عروق الاعقاب الذين لم يخفهم أن تجرى دماؤهم فى مجرى دمه ، وأن نزهق حياتهم كما زهقت حياته . وكذلك الذين أراقوا ذلك الدم الزكى ، لا يزال لهم من الاعقاب الذين زهقت بهم منازل الوراثة الى القرن العشرين ، من تحكم المشاعر الهوجاء فى اعمالهم ، وتفعل أذرع الفعل فى توجيههم من الحياة وجهة لا يرضي عنها العقل ولا تقرها الفضيلة فى منزلة من منازلها . هم الى اليوم أعداء العقل ، أعداء الانسان الانسانية . هم الى اليوم أنصار الخراب والدمار . هم حتى الساعة أرباب الجهالة

والعقم .. هم أشباه بنى آدم فى القوام والتمويم ، وأبداء أبناء آدم عن الانسانية كما حدد منهاها الاستاذ « بن » بأنها « العقل » الحر المبرأ عن تضحية العقل لغيره من منازع الاهواء الانسانية .

— ٢ —

إذا أردنا أن ننتقل من تعريف حرية الفكر وما كان من أثر العقليين فى ترقية النوع الانسانى ، وأردنا أن نتكلم فى حرية الفكر والسلطة الحكومية ، فانا لا نجد من بيان أبلغ من بيان الفيلسوف الكبير « برترند رسل » لدى كلامه فى « حرية الفكر ونشر الدعوة الحكومية » . لهذا نرجع اليه لننقل عنه الآتى : قال

« إن من ييدهم نظم التربية لا يعملون على نشرها . بل على العكس من ذلك يحاولون شحن الرؤوس فقط ، ولا يهتمون بتربية الفهم . مع أن للتربية مقصدين أحدهما علم مقرر هو عبارة عن القراءة والكتابة واللغات والرياضيات الى غير ذلك ، والثانيهما خلق أساليب فكرية يتمكن الناس بها من المعرفة ومن الاستنتاج لأنفسهم بطريق العقل . ويسمى المقصد الاول علماً ، والثاني فهماً . وفائدة العلم مسلم بها من الوجهتين العملية والنظرية . لأن تكوين أمة متحضرة على النمط الحديث مرهون على وجود مجموع متعلم . وأما الفهم فان السياسيين لا يسلّمون الا بفائدته النظرية فقط ، لانه من غير المرغوب فيه عندهم ، أن يفكر الناس لأنفسهم . ذلك لأن حكم المفكرين واخضاعهم عمل شاق »

« قال أفلاطون — « الاوصياء وحدهم هم الذين يجب أن يفكروا . أما العامة فعليهم اتباع قادتهم مثل قطيع من الغنم » وهذه هى الفكرة السائدة فى عهد الديمقراطية السياسية فى هذا العصر ، والتي أفسدت نظم التربية الوطنية » هذا فيما يرى العلامة « رسل » من تحديد طرق التربية على الصورة التى عكفت عليها الحكومات . أما فى تحديد الفهم واتباع مطاوعات الشك فقد قال : « ليست حرية الفكر الدينية وحدها هى التى تلاقى كثيراً من العتبات .

فإن استحسان الشخص للباشفية أو الاباحية مثلاً ، يسبب له متاعب لا قبل له بها . والأدهى من كل هذا أن الحصول على بيانات أو براهين تؤيد هذه الأفكار يكاد يعد من المستحيلات . بيد أنك تجد الحال على مثل ذلك تماماً في روسيا حيث يمتنع على الناس العثور على بيانات تضاد نظريات الاتحاد والباشفية والاباحية »

« وكما يوجد في بلاد روسيا متعصبون يساهون بصحة نظريات لاتزال في دور البحث تسليماً أعمى ، تجد في بقية العالم متعصبين يساهون بصحة ما يناقض اعتقاد هؤلاء تسليماً لا يحتمل الشك أو الجدل . فذلك التعصب وهذا التسليم ، هما منشأ الحروب وسوء التفاهم وأصل الاضطهادات التي يتذرع بها كل من الفريقين .

« لقد دافع وليم جيمس عن نظرية « الميل الى الاعتقاد » . وأنا بدوري أدافع عن نظرية الميل الى الشك . لأن كل ما نعتقده يتضمن إيهاماً وأخطاء . ولا يوجد اعتقاد تام الصحة على إطلاق القول ، فيجب علينا إذن أن نصغى الى بيانات الغير ، لنثبت من الوقائع التي نتجادل فيها ، ولكي نكون على استعداد تام لترك ما يثبت خطؤه . هذه هي الاسس التي قامت عليها العلوم . فكل العلماء والمشتغين بالعلم على استعداد تام للقول بأن ما يعلمون به معرض للاصطلاح والتحويل على مقتضى ما يجده من مناحي النظر أو الاستكشاف ، وأن أقرب النظريات الى الصحة أصلحها للتعبير عن أمور أكثر . وكل الأفكار قابلة للشك بالضرورة »

« أما السياسة والدين فعلى الضد من العلم ، يعاقبان كل من يحاول اظهار الحقيقة بالسجن والاضطهاد والحرب ، ويمنعاننا عن سماع بعض البيانات وسماع ما نراه من الآراء . على اننا لو حكمنا العقل لزالّت تسعة أعشار المصائب الموجودة ، ولتعذر وقوع الحرب ، لانه من الهين على من يحكم عقله أن يرى خطأ كل من الحزبين المتنازعين . أما الاضطهاد فلا محالة يمحى أثره حينما يصبح هم التربية محصوراً في العمل لما يؤدي الى توسيع الافهام لا تضيقها . اذ ذلك يقوم بالاعمال أقدر الناس عليها ، لا أكثرهم تملقاً للرجال المسيطرين » .

وضرب الفيلسوف « رسل » على ذلك مثالا فقال :
 « ان للطبع العلم جلالاته حينما استقبل أهله نظرية النسبية . فهذا انشتين
 اليهودى — الالماني — السويسرى ، والذي عينته الحكومة الالمانية أستاذاً
 للمباحث في أول أيام الحرب . طرح نظريته للبحث وأثبتتها البعثة العلمية
 البريطانية حين رصدت كسوف الشمس سنة ١٩١٩ . ومع أن نظرية النسبية
 قامت أساس العلم الطبيعى رأساً على عقب ، فأننا لم نر من العلماء الا أتم استعداد
 لقبولها ، عند ما أثبتت صحتها . هذا لانه لم يدع أحدهم ، ولا انشتين نفسه ،
 بأن كلمة الفصل قد قيلت في هذا الصدد ، ولم يزعم زاعم بأن انشتين قد أقام بناء
 غير قابل للهدم أبد الدهر . ذلك لشعورهم بأن أمامهم ما لا يزال حله متعذراً .
 فالنظرية لا تزال معرضة للتحويل والتكييف ، وقبول العلماء لها غير مقطوع به .
 هذه هي روح العلم وصيغته »

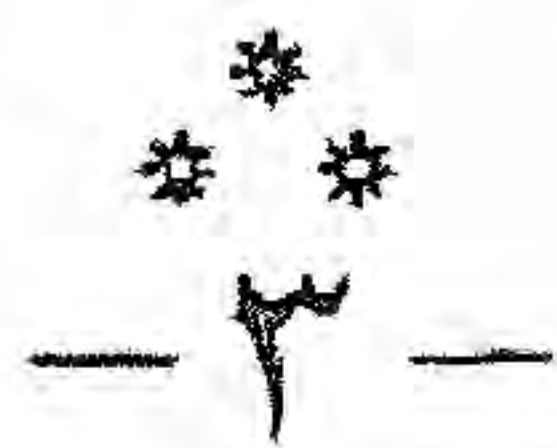
« أما اذا كانت هذه النظرية نظرية دينية أو سياسية اذن لاستشتم منها
 الانجليز ربح الجرمانية ، ومعارضو اليهود ، بآدى الصهيونية ، والوطنيون طريق الدروب
 من الخدمة العسكرية . ولقام زعماء النسق القديم الى ادارة البوليس ياحون على
 السلطات لكي تحظر تداول ما ينشر من براهينها المثبتة لصحتها ، وللفصل عن
 مقاعد التدريس في الجامعات المستمسكة بالتقديم كل من أخذ من الاساتذة بالفكرة
 الجديدة . واذا فرض وكان انشتين قد استمكن من التحكم فى ناصية شعب منحط
 غير ذى حضارة ، اذن لفعل جهده ليعظم على الناس قراءة كل ما يخالف نظريته
 من التعاليم ولاعدت نظريته بديهيّة مقطوع بصحتها دون موازنة بين ما لها وما عليها
 من البينات . أما اذا أريد الموازنة بين المقتضيات فى ميدان أفسح ، فهناك
 الساحة التى تفصل فيها المدافع والبنادق فى صحة ما يدعيه كل من الحزبين .
 هذه هى النتيجة المنطقية لنظرية وليم جيمس القائلة بحاجتنا الى « الاعتقاد »
 ولكنى أقول ، كما قلت سابقاً ، أننا فى حاجة الى الشك »

تجد فى هذا مجمل ما تتبع الحكومات من سياسة أزاء حرية الفكر . فمما حد
 التربية تقوى المعرفة ولكنها لا تعمل أبداً على تجويد الفهم . ولقد وجدت

الحكومات أن في هذا الأسلوب رحمة كبيرة ، فإن حكم مجموع تكثر معارفه ،
يختلف كثيراً عن حكم مجموع يجود فهمه . ذلك لأن تجويد الفهم في أناس
يكتسب عليهم عيش الذلة والخضوع مع ما يتبعهما من جوع وفقر ، أمر يكاد
يكون من المستحيلات .

هذا من ناحية التربية . أما من ناحية نشر الأفكار المضادة لما تعتقد
الحكومات أنه حق ، خطأ أم صواباً ، فطريقة جرت عليها الحكومات في كل بقاع
الأرض . فإن الحكومات تمنع نشر الأفكار التي تنزعج لها الاغلبية على رغم
أنها مضرّة وغير ملائمة لمقتضى الحال . ولكن هذه الأسباب هي عين الأسباب التي
كان يتمسك بها دعاة محاكم انتفتيش الرهيبة ، كما يقول « رسل » وقد رأت في
البروتستانتية ما نراه اليوم في البلشفية والشيوعية . ولا يقصد بهذا القول ضرورة
للدفاع عن أى من هذه المذاهب المتطرفة الخرقاء

ولقد كان لتذرع الحكومات بحظر الأفكار التي لا توافق عليها الاغلبية أثر
ظهر في دور النيابة وفي كراسى التشريع السياسى والمدنى ؛ ولهذا رأت الاغليات
في بعض الأمم أنه من حقها أن تحظر نشر أفكار ما وأن تبيح نشر غيرها ،
لان من حقها أن تمنع عنها ما يزعج بالها وأن تدفع عن الناس ما يؤذيهم طوعاً أو
كرهاً . ولقد بدأت هذه الظاهرة في البروز في دارنا النيابية ، تذرع بها نواب
وشيوخ يحاولون أن يعتدوا اعتداء صريحاً على حرية الفكر التي كفلها القانون .
لهذا نتساءل هل للسلطة التشريعية أن تتدخل في حرية الفكر ؟



بينما فيما سبق تحديد حرية الفكر ، وعرفنا سياسة الحكومات - أراء حرية
الفكر . والآن نتناول الكلام في السلطات التشريعية وهل لها الحق في أن
تتدخل في حرية الفكر ، وعلى الاخص في البرامج التي تدرس في الجامعات ؟
حلت السلطات التشريعية الحديثة القائمة على النظام الديمقراطي محل
الكنائس ورؤساء الأديان في العصور الوسطى . حلت هذه السلطات محل تلك ،

مع فارق واحد ؛ هو أن السلطات التشريعية الحديثة قد قامت فيما قامت عليه من المبادئ على أساس كفالة الحريات جميعها ، وأولها بالضرورة حرية الرأي . في حين أن السلطات الكنسية ورؤساء الأديان قد اعتقدوا في العصور الأولى أنهم لا يملكون فقط حرية الناس الدنيوية ، بل أيقنوا بأن لهم ظلماً في إقامة الدينونة وإنهم إلى حد ما « ديانون » يشاركون الله سلطته في توزيع العقاب والثواب على أهل الأرض . لهذا كان من الضروري لمن يعتقد بهذا الاعتقاد أن تقوم لديه فكرة أخرى هي أن « الفكر » أول ما يدان من أجله الإنسان ، ولما كانت الكنائس ، باعتبار الآراء التي ذاعت في العصور الوسطى ، مسؤولة عن تحديد المعتقدات الإنسانية بما يؤدي إلى خلاص الناس في الآخرة ، وفي ذلك تنحصر مهمتها للعظمى ؛ استتبع جماع هذه السلسلة أن يكون من حق الكنيسة أن تسيطر على آراء الناس وأفكارهم ، بدعوى السعي في خلاصهم الآخرى . على أن دعوى الكنيسة قد درست وبادت مع ماباد من الأفكار والمعتقدات التي قامت عليها في الماضي . فليس من المستطاع إذن أن تنتحل السلطات التشريعية في العصر الحاضر نفس السلطة التي كانت للكنائس في العصور الوسطى ، فتدعى أن لها حق السيطرة على أفكار الناس وتحديد معتقداتهم ؛ إلا بأن تدعى مع هذه الدعوى أن لها أن تستعمل نفس السلطة التي كانت للكنائس ؛ قائمة على نفس القواعد والمبادئ التي قامت عليها في الماضي . وهذا بالضرورة أبعد الأشياء عن مماشاة روح العصر التي نزعنا بالناس إلى التحرر من آثار الماضي بقدر ما تتطلب مقتضيات والحالات

احتكت الكنائس في تحديد برامج التعليم في الجماعات واعتدت على حرية التأليف وكونت مجمع الفهرست المعروف الذي كان يقيد في فهرسته جميع الكتب التي يحظر على المؤمنين قراءتها . وكان من نتائج ذلك أن جمع الفهرست أسماء أشهر المؤلفات وأعظم المؤلفين الذين نفخوا الإنسانية وخدموا العلم ، ولم يترك للمؤمنين من شيء يمكن أن ينتفع به علمياً أو أدبياً إلا حثالة مما كانت تخرج عقول رجال الدين أوسعت الناس جهالة وغثائة

فإذا ادعت السلطات التشريعية أن لها حق الاشراف على برامج التعليم التي تدرس في الجامعات ؛ خرجت بذلك عن وظيفتها الطبيعية ؛ وانقلبت أداة تحدد الفكر وتحتكم في التفكير ، وتستبد بحركة العقول والأفكار . ولا جرم أن هذا أشنع ما ينال الحريات من مظالم المستبدين .

وليس لنا من شيء نقوله بعد هذا لنفر من نوابنا قاموا بمحاولون أن يحددوا برنامج التعليم في جامعتنا الفتية ، فأخذوا نفس الوسيلة واتبعوا ذات الطريقة التي اتبها رؤساء الدين في العصور الوسطى ، وأخذوا يرمون الدكتور طه حسين وفئة معه بالكفر والاحاد . ولا مرية مطلقاً في أن هذا السلاح وقد استعمل في القرون الوسطى ، كان أقوى سلاح تدرع به الجهل وادرعت به عماية المتعصبين ضد كل من أراد أن يهدم من بنيان الوهم ركناً ، أو يقوض من التقاليد العتيقة قائماً .

قال الاستاذ ديكسون وايت في خلال كلامه في قضية غاليليو في مؤلفه

المعروف :

« خير أن نيران الحرب مازالت تزداد تسعراً واحتداماً ، بعد أن اتخذ فيها من الأسلحة بعض ضروب تستحق أن نخصها بالعناية . تلك أسلحة من الهين أن نبهثها وأن نحيط بها علماً . لانك تراها أينما وليت وجهك في ميدان صورع فيه العلم . ولكنها في ميداننا هذا قد استخدمت بطريقة جعلتها اهدف حاداً وأمضى نصلاً ، منها في كل ميدان آخر . وما هذا السلاح الحدود الغراب سوى كلمتين : أولاهما كلمة « ملحد » : والآخرى كلمة « كافر بالله » كلمتان طالما وجهتا لكل انسان حاول مرة في تاريخ الدنيا أن ينفع ابن آدم من أية طريق وبأية وسيلة . أما الجدول الذي يحوى أسماء هؤلاء الكفرة الملحدين ، فتنتوى وفقاه على أسماء أعظم من سارت به قدم من رجال العلم والمنهطعين للدرس والمستكشفين والعاملين على هناء الانسانية . سدد ذلك السلاح القوى الى صدور أمثال اسحاق نيوتن وباسكال ولوك ومالتون ، وحتى صدر فينيلون وهو وارد ...

هذا السلاح الذي يدل في أول ما يدل عليه على الجهل المطبق والغباء ، والبعد

عن معرفه ماتقوم عليه الحريات الانسانية من أسس وقواعد ، قد حاول بعض نوابنا أن يتسلح به ضد الذين يحاولون أن يتحرروا من الآثار القديمة التي حملت هؤلاء النوات على أن يكونوا وراء العصر بقرون وأجيال ، فيسلوا ذلك السلاح من غمده الصدىء البالى ليضربوا به فى القرن العشرين ، فلا يصيبون الا الهواء ولا ينالون الا أقسى الضربات تسدد الى صدر الاستبداد والذين يريدون أن يحيا موتاه بعد أن دفنه العقل الانسانى وتركه فى ذمة التاريخ .

ولست أدري كيف أن هيئة تشريعية يمكن أن تدعى بأنها الكفيلة لحرية الفكر القائمة على صيانتها وحفظها ، فى نفس الوقت الذى تحاول فيه أن تحتكم فى برامج التعليم فى الجامعة وهى الموئل الوحيد الذى لا يجب أن ينال حرية الفكر فيه شىء من استبداد المستبدين ، فى أى ثوب ظهر وا ، وتحت أى عنوان أخفوا حقيقتهم .

يجب أن تستقل الجامعة عن كل ضرب من ضروب الاستبداد . يجب أن تستقل عن استبداد الافراد وعن استبداد الهيئات ، وأولى باليد التى تمتد مستبدة ببرامج الجامعة أن يقطعها سيف الحرية قبل ان تهذف بنا فى فلولات العصور الوسطى مرة أخرى ، فينكب عندنا الفكر بمثل ما نكب به فى اوروبا على يد الكنيسة الرومانية . بل أنا نكون أحط نزعاً وأسوأ سيرة . فقد كان من القرون الوسطى للكنيسة بعض المبررات على أن تتبع ما اتبعت من سبيل . فى حين أننا لا نجد لهيئتنا التشريعية أى مبرر ، لا من المقتضيات ، ولا من روح العصر ، يبرر لها لفرد منها أن يفكر ساعة واحدة فى أن يكون له أقل سلطة تحدد من حرية المفكرين فى وضع برامج الجامعة ودور العلم

— ٤ —

كيف يجب أن نفهم حرية الفكر ؟
ينزعج كثير من أهل التقاليد لترديد « حرية الفكر » ، ويمتقدون أن فى ذبوع هذا الاسلوب العقلى قضاء على الكثير مما ورثوا من أوهام وخيالات .

ولهم كثير من الحق في أن ينزعجوا وأن ينظروا في حرية الفكر نظرة من يعتقد أنها السلاح الوحيد لتحرير الانسانية من أوهامها الموروثة . على أن انزعاجهم هذا فيه من أثر الوهم أكثر مما فيه من أى شيء آخر . هم يتخيلون أن حرية الفكر تقضى على الدين وعلى ما يجرى مجرى الدين من المعتقدات التى تقوم على مدى الارمان وتتركز حول المعتقدات الثابتة . على أنهم فى نظرهم هذه مخطئون . فان حرية الفكر فى العالم الأوروبى تكاد تكون قبالة الشعوب ؛ فى حين أن روح الكنكالة لا تزال قائمة بكل ما ورثت عن القرون الاولى من قوة .

على أن هذا ليس من موضوعنا فى شيء . فلنرجع الى الصورة التى يجب علينا أن نفهم بها حرية الفكر .

يترتب على تحرير الفكر أن يقلع الانسان عن الاعتقاد بأى شيء يخالف أحكام العقل . وهذه القاعدة لا مفر منها . إذن وجب علينا أن نوازن بين تحرير عقولنا وأوهامنا . ولا جرم أننا لا نرضى بأن نلغى عقولنا فى سبيل تسويد مشاعرنا وخيالنا .

على هذه القاعدة يجب أن نعتقد أن قوة النقد ، وهى أرقى ما فى العقل لانسانى من صفات ، يجب أن تسيطر على كل شيء فى الوجود ، وحتى على الدين نفسه . وليس معنى هذا أننا اذا أتبعنا هذه الطريقة فى بحث الدين ، وجب أن نحتقر ذلك الميراث الذى قدمت به الانسانية طوال تلك الاجيال وأخذ بيد الناس يتودهم من فلول الزمان ، بل على الضد من ذلك نحمل له فى صدورنا أجمل ما تستطيع الصدور أن تحمل من عبارات الاحترام وصيغ التبجيل . ولكن هذا لا يحملنا مطلقا على ان نلغى عقولنا بجانب ما نحمل من احترام لذلك التراث . هذا ما تقتضيه حرية الفكر . تقتضى حرية الفكر أن يضحى فى سبيلها بكل شيء ؛ وعلى رأس هذه الاشياء ميراثنا عن الماضى البائس .

- ٥ -

النتيجة

والمحصل من مجمل هذا أننا لا نكون أبعد عن الاقسط في القول وأقرب الى الشطط منا اذا اعتقدنا بأن تراث الماضي يجب أن يكون نبراسنا الذي ينير لنا مفاوز الحاضر . فإن الحاضر هو في الواقع قائدنا وهادينا . وما الماضي الا صفحة بائدة نستقرئ فيها بعض ما يبرر لنا نظمات الحاضر التي نشعر بأننا في حاجة اليها . على هذا يجب أن نقفل في عقولنا فكرة التأثير بالماضي ، وأن نقوى في عقلياتنا ما استطعنا فكرة عبادة الحاضر ؛ لنستطيع أن نشق لأنفسنا طريقا يأخذ بيدنا في ما أدلهم حولنا من ظلمات

اسماعيل مظهر

تاريخ الفكر العربي

في نسوة رتبه بالترجمة والنقل عن المصنف الإيراني

اصدرت دار الفجر للطبع والنشر هذا الكتاب بتمام
 اسماعيل مظهر صاحب مجلة الفجر رقم ٢٠٠
 صيغة من القطع الكبير فاطمة بنت جميع المطابع
 رجلة من دار الفجر بشارع اسماعيل الفداوى
 رقم ٧ بالظاهر